

بمناسبة حلول الذكرى السنوية الخامسة والعشرين
لاستشهاد آية الله العظمى الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

قال الله تعالى: ﴿وَلَنُبَلِّغَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلِّغُكُمْ عَنْهُمْ بِأَخْبَارِكُمْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿١﴾

صدق الله العلي العظيم.

تطلُّ علينا ذكرى شهادة المفكر العظيم والناطقة الفذ استاذنا المبجل آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر رحمته، ولم تنزل أهدافه التي ضحى من أجلها غير متحققة، وبقي مشروعه للأمة أمانى وطموحات.

لقد أثبت استاذي ورثيته خمسة وعشرين سنة، ولم تنزل مرارة فراقه تنغص عليّ مطعماً، وناز ففقدته يصطلي بها فؤادي، ولكن عزائي هو: «إِنَّ الْقَتْلَ لَنَا عَادَةٌ وَكَرَامَتَنَا مِنَ اللَّهِ الشَّهَادَةُ»، ﴿وَلَنُبَلِّغَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (٢)، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾.

قَلَّ وَاللَّهِ عَنْكَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ صَبْرِي، وَرَقَّ لِفِرَاقِكَ تَجَلْدِي...

أبنائي البررة كان الصدر الكبير آيةً بين أقرانه وتحفة الرب لعباده، لم تتجسه كبرياء العلم بأنجاسها، ولم تلبسه من مدلهيات ثيابها، عاش بالإسلام وله، لم يَرِ نفسه إلا من خلال إسلامه. شحذ ذهنه وامتشق قلمه، ونزل إلى حومة الميدان يوم برز الشرك كله لقتال الإسلام والإسلام وحيد، فأخذ الشهيد الصدر رحمته يذب عن دينه وينصر إسلامه حتى نكس رؤوس الماركسيين وأذهم بفلسفتنا واقتصادنا، وفضح الرأسمالية وأخزاها باقتصادنا، ودعم براهين إثبات الحق بفلسفتنا والأسس المنطقية، وناقش أساطين علم الأصول، وفند نظريات فيه كانت تعد من معاجز الفكر، وأقام غيرها، وتحوّل علم الأصول على يده، وأحدث فيه نقلة نوعية.

ولم يغفل جوانب المعرفة الأخرى بل نبغ فيها وعلى عادته، فهذا التفسير الموضوعي وتلك أهداف وأدوار أهل البيت عليهم السلام و... وأعجب ما في الرجل العملاق أنه لم يدع للضعف واليأس سبيلاً يتسرّب إلى قلبه من خلاله، كان قوياً جاداً متفائلاً، همّه أن يرى الإسلام معاشاً يخرج من سجنه في بطون الكتب وصدور العلماء، فيحيي به الناس وعليه يموتون، يسعدون بتعاليم الإسلام، وينعمون بعدله، ويتقدمون في ظلال حكومته ...

إنّ الشهيد الصدر رحمته من أبرز مصاديق العالم بالله ودينه؛ حيث علم علوم الدين، وبلغ الذروة منها، ونبغ فيها، ثم حمل روحه على كفه يجود بها دفاعاً عن هذا المعنى الذي عرفه واعتقد به حتى بلغ به يقينه بعدالة قضيتته أن نهج منهج جدّه الحسين عليه السلام، ولم يَرِ الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً، فأصدر قراره آنذاك وقال: «إِنِّي صَمَّمْتُ عَلَى الشَّهَادَةِ، وَلَعَلَّ هَذَا آخِرَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي، وَإِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ قَدْ فَتَحَتْ لِتَسْتَقْبَلَ قَوَائِلَ الشَّهَدَاءِ حَتَّى يَكْتُبَ اللَّهُ لَكُمْ النِّصْرَ...».

ولقد فجعت الأمة الإسلامية باستشهاده إلا أنّ الذي خفف المصيبة شيئاً ما هو أنّ الله تعالى قيّض لهذه الأمة واحداً من خيرة تلامذة الشهيد الصدر رحمته، فتولّى أمرها، فبلغ وعلم وربّي وهذب وأحدث في المجتمع ثورة ثقافية واجتماعية كادت تطيح بعرش الطاغية الصعلوك، ولولا أنّه عاجله بالشهادة لكانت الأمور على غير ما هي عليه اليوم...

فرحم الله الشهيد الصدر الثاني وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير جزاء المحسنين، فلقد جاهد مخلصاً صابراً محتسباً وحيداً حتى بذل مهجته في سبيل الله تاركاً ثقلاً كبيراً ومسؤوليةً عظيمةً تنوء بحملها الجبال...
ولكن ثقتنا بوعده الله بالنصر الموعود كبيرة، ونحن متفائلون بقربه بل كلنا كانت التضحية أجسم وأعظم اقترب الوعد أكثر، واشتد العزم، وازداد المؤمن بصيرةً وإصراراً.

إن مصيبتنا بأستاذنا الشهيد الصدر عليه السلام عظيمة فتت في أعضادنا، وبنيت لها بيتاً في قلوبنا، ونحن نعلم أن أفضل صورة لوفائنا له رحمه الله هي السير على نهجه، والسعي الحثيث لتحقيق أهدافه، ولهذا فإنني أوصي الأمة الإسلامية في العراق وعلى الخصوص التيار الصدري بأمور:

أولاً: التناخي الصادق والمحبة في الله بل طموحنا أن يتحوّل الواحد من أبنائنا إلى قُدوة في الأخلاق الرفيعة السامية والمودة الصافية حتى يصبح أخلاقاً متجسّدة حتى يقول القائل: «هكذا أدب الصدريون أبناءهم» فيسرني ذلك.

ثانياً: احترموا الناس وأشعروهم بحبكم لهم حتى المخالف لكم والذي هو على غير رأيكم، ولا أستتني أحداً حتى الملحدين والخارجين عن الدين غير المحاربين، فتصبحوا زيناً لأبيكم وفخرأله.

ثالثاً: لا أجز لكم التعامل الخشن مع أي أحدٍ من إخوانكم ومهما كانت الظروف، وأوصيكم بالصبر والتحمل وسعة الصدر، واعلموا أنكم بذلك تُرضون ربكم، وتغيضون عدوكم، وتفرحون أباكم.

رابعاً: كونوا بارّين بأبائكم وأمهاتكم، ولا تُغضبوهن بحجة منعهم إيتاكم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو بأي حجج أخرى. خامساً: أوصيكم بالجد والاجتهاد في دراستكم إن كنتم حوزويين أو جامعيين أو في المدارس، والإخلاص في عملكم أينما كان موقع عملكم؛ لتتميزوا عن غير ذوي الأهداف بالجد والمثابرة وإتقان العمل، ولتبنى البلاد بعقولكم النيرة وسواعدكم المحلصة.

سادساً: اشكروا قوى الأمن من الشرطة والحرس الوطني وغيرهم من القوى الشعبية الأخرى، فلقد سرّني تفانيهم في السهر لبسط الأمن في زيارة الأربعين، وإني لأدعوهم؛ لأنهم أبنائي وقد جعلوا أنفسهم درعاً لكم وكان قد أوغل الصداميون والنواصب في دمائهم. أملي أن يكونوا بنفس الاستعداد في كل وقت خصوصاً في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام التي ستكون في ذكرى رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وفقهم الله لخدمة المؤمنين.

سابعاً: إن في زيارتكم لمولانا أمير المؤمنين في يوم رحيل رسول الله - صلى الله عليها وآلها - معنيين عظيمين: أوّلهما: أنكم تقدّمون العزاء بين يديه.

والآخر: أنكم تجددون البيعة له، وتؤكدون الثبات على ولايته، فأنتم تقومون بعبادة عظيمة، فانتبهوا إلى خلوص النية فيها، ولتكن خطوةً في سلم كمال الإيمان لدى الواحد منكم.

وختاماً أقول: شاء الله أن يحقّق وعده في الطاغية صدام؛ حيث أسقطه بيد أسياده في يوم شهادة الصدر العظيم عليه السلام وأدخل جحزب، وبقي الصدر صدراً محتضن كل العراقيين وجميع الشيعة والمسلمين، ويتنفع من بركات علمه ودمه الجميع.

فالله الله في هذا الدم الزكي الطاهر، لا يضيع بحضرتكم، فأقيموا للمناسبة ما يناسبها، ليبقى الصدر للعراق، والعراق للإسلام، والإسلام لله.

أستاذي المعظم طبت وطابت الأرض التي فيها دفنت، والسلام عليك يوم ولدت، ويوم استشهدت، ويوم تبعث حياً. والسلام عليكم أبنائي جميعاً ورحمة الله وبركاته.

